قدّ َ من دبْرٍ



وســــــــــــائدُ الليلِ لا تقوى، لتحملني.

وفي يديكِ ســــــــــريرُ النورِ يحضنني.

عيناكِ أمّي غدي جرحي دمي شجني،

والســــــــــرّ ُ في وجعِ النسيانِ يوقظني.

الروحُ عاشقةٌ ليلى بلا ســـــــــــــــــببٍ،

ليلـــــــــى البراءةُ في الإخلاصِ تملكني.

تلكَ الرســـــــــالةُ في الأقفاصِ نكتبُها،

تحتَ الركامِ علـــــــى الأنقاضِ والزمنِ.

أرضي بســـــــــاطٌ من الأحلامِ مرتعُها،

صارتْ حريـــــــــقاً إلى الأوثانِ تركعني.

أبـــــــــــدو غريباً بلا التاريخِ لا وطنٍ،

ولا وجودٍ علـــــــــــــى النيرانِ يصلبني.

هـــــــــــذي النهايةُ في التلمودِ مصدرُها،

ذلّ تحزّبَ، ينهيني، ويذبحـــــــــــــــــني.

أنا اليتيمُ بلا صـــــــــــــــــــــــدرٍ أعانقُهُ،

أنا الســـــــــــــــجينُ بلا حضنٍ يطوّقني.

دمشـــــــــــــــــــقُ نبعُ حنيني لا مزاودةٌ،

حمصُ البكاءُ عن الأمواتِ تســـــــــألني.

هلْ ضـــاعَ في قببِ التزييفِ حاضرُنا،

باعوا الطهارةَ للأنجاسِ في العلـــــــــــنِ.

ميســـــــــــونُ كانتْ على البهتانِ نائمةً،

قبلَ الصلاةِ على الأعقابِ تعرفنـــــــــــي.

بالتْ علـــــــــــى طرفِ الأخدودِ خائفةً،

شـــــــــــــقّتْ قميصَكَ من دبْرٍ، لتنقذني.

ناموا الكهوفَ، وخلفَ البابِ حارســـهمْ،

شـــــــــــــمسٌ تقلّبُ كلباً جاءَ، يقضمني.

يا منْ تحاربُ في الشـــــــــــيطانِ ذاكرةً،

من يقتـــــــــــلُ الحقّ َ، يغزو البرّ َ يفتكني.

حـــــــــــربٌ تلبّي بغاةَ الأرضِ في فرحٍ،

جاؤوا، لينتقموا، والجرحُ يشـــــــــرطني.

يا زينبُ الجرحِ قومـــــــــــي لانتقامِ دمٍ،

باغٍ (ترنّحُ) والســـــــــــــردابُ يشملني.

عادتْ إليكِ دروبُ الحـــــــــــــبّ ِ مقفرةٌ،

وفي ســـــــــــوادٍ من الإنصافِ تبلغني.

ســــــــــــــاقتْ قطيعَكَ بالهيهاتِ تحلبُها،

نزّ ُ الصنينِ على الأوراكِ يلعقنـــــــــــــي.

إلى حماةَ ســــــــــــــبيلُ الخوفِ نرسمُهُ،

تبكي النواعيرُ، طوقُ الموتِ يرعبنـــــي.

أنا النحيبُ على الأحــــــــــــــلامِ أكرمُها،

صبــــــــــري تجلّدَ في الأعناقِ، يلفظني.

الدينُ يلــــــــــــــــهثُ خلفَ القتلِ مغترباً،

والأرض عطشى، دماءُ الطهرِ تشربني.

الجوعُ كونٌ من الأجســـــــــــادِ نعصرُهُ،

في طفلةٍ خرجـــــــــــــتْ للحقّ تنصفني.

كلّ الحقائقِ ضـــــــــــــاعتْ في مكابرةٍ،

كلّ المعـــــــــــــــالم بيعتْ لو تصدّقني.

شـــــــــاخَ الضميرُ بكبتٍ، ماعَ قابضُهُ،

حكْمُ الســـــــــــــــفالةِ في خسْفٍ يقيّدني.

كلـــــــــــــبٌ يدورُ على الأرحامِ يفتكُها،

عبدٌ يبوسُ نعالَ الكلـــــــــــــــبِ، يجبرني.

يجتاحني وطنُ الأمواتِ في ســـــــــــــــقمٍ،

والشـــــــيخُ يزرعُ، صبرُ اليأس يشطبني.

صاحتْ على وترِ الأوجاعِ يا حلبـــــــــي،

شـــــــــــــــرٌّ يفتّتُ في الأحشاءِ، ينهشني.

أنا المســـــــــافرُ في الصفصافِ بعدَ غدٍ،

زادي الدمـــــــــــــــوعُ على رتْقٍ يمزّقني.

جاءَ الخســـــيسُ من الطاغوتِ من عجمٍ،

قوّادُهُ قـــذرٌ، والغـــــــــــــــــــــرّ ُ يقتلني.

تكالبتْ أمـــــــــــــــمُ الأعراقِ في قرفٍ،

طفلٌ ينادي خلاصاً كانَ يســـــــــــــكنني.

هذا العـــــــــــــــراقُ من الأفّاكِ محترقٌ،

والشـــــــــــامُ تسبحُ في التمزيقِ يا وهـني.

يمرّ ُ ســـــــــــــــــكّينُهُ في العنقِ يبترُهُ،

والذبحُ قانونُهُ، قدْ صـــــــــــارَ يحكمني.

ســــــــــــتختفي ضحكاتُ الخزْي ساخرةً،

ويخرسُ الباطلُ النعّـَاقُ في وطـــــــــــــني.

ويشرقُ النورُ وضاءً يبثّ ُ ســــــــــــــــناً،

على مشـــــــــــارفِ نصرٍ،، غاليَ الثمنِ.

نعم، نُجرّ َعُها كأســــــــــــــــاً مضرّ َجةً،

معينُها المسْـــــــــــــــكُ فوّ َاحٌ من الكفنِ.

أقمتُها ســــــــــــــــــجدةً للتيهِ في رئتي،

في زفرةِ الحزنِ فانســــــابتْ، لتشهقني.

صياغةُ الموتِ أعيتْ حبــــــــــــرَها لغةٌ،

ولكنةُ الجرحِ تحييـــــــــــــــها، وتنزفني.

هذي البلادُ شـــــــــــــــهيدٌ، كيف توقفُها،

في الصـــــــــرخةِ اقتلعتْ رعباً يزلْزلني.

هذي البلادُ أنا، جدّي ،أبي، ولـــــــــــــدي،

فاعبرْ على جســـــــدي، إنْ كنتَ تسلبني.

هذي البلادُ صـــــــــــــــلاةُ اللهِ في كتبٍ،

فارفعْ يداً، كي ترى الإصـــــرارَ يدفعني.

يا أرضُ يا قدرَ الإنســـــــــانِ في ألمٍ،

ســـــــــــــــــــتفتحُ الفجرَ من قيدٍ يكبّلني.